الباي محمّد بن عثمان الكبير: الشخصية الجهادية والعلمية والسياسية

The Bey Muhammad bin Uthman al-Kabir: The Jihadist, Scientific and Political Personality

إعداد

مجاهدي إبراهيم

Medjahdi Brahim

طالب دكتوراه، مخبر التراث الأثري وتثمينه، جامعة تلمسان

Doi: 10.21608/kjao.2024.346268

استلام البحث ٢٠٢٣/١٢/٩

قبول البحث ٤/ ١ / ٢٠٢٤

إبراهيم، مجاهدي (٢٠٢٤). الباي محمّد بن عثمان الكبير: الشخصية الجهادية والعلمية والسياسية، ***المجلة العربية لعلوم السياحة والضيافة والآثار***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٥(٨) مارس، ٥٥- ٧٦.

http://kjao.journals.ekb.eg

الباي محمّد بن عثمان الكبير: الشخصية الجهادية والعلمية والسياسية

المستخلص:

كثيرا ما وصفت الجزائر خلال التّواجد العثماني بها بالجمود الحضاري والفكري، وأنها دولة عسكرية ودار جهاد مثلما أشار إليه الرّحالة توماس شو حينما أوضح الطّابع الحربي العسكري للدّولة و إهمالها للجانب الفكري على حدّ قوله، ورغم هذا كلّه إلّا أنها شهدت عددا كبيرا من المبادرات الفكرية والتّأليفيّة، اعتبرت مساهمات لإثراء الحياة الثقافية والعلمية داخل إطار عدد من المؤسّسات التّعليمية كالزّوايا والمدارس والكتاتيب، والتّي أنشئت في مدن وحواضر لا طالما اشتهرت بصيت وازدهار ثقافيين وافرين كبجاية وتلمسان ومازونة وقسنطينة ومعسكر، ممّا مهّد لبروز شخصيات اتّصفت بالعلم والورع والجهاد والسياسة، ومن هذه الشّخصيات اخترنا الباي محمّد بن عثمان الكبير موضوعا لبحثنا.

الكلمات المفتاحية: الباي محمد بن عثمان؛ المنجزات العمرانية؛ الإنجازات السّياسية والثقافية.

ABSTRACT :

During the Ottoman presence, Algeria was often described as a cultural and intellectual stagnation, and that it was a military state and a place of jihad, as indicated by the traveler Thomas Shaw when he explained the warlike, military nature of the state and its neglect of the intellectual side, as he said. Despite all this, it witnessed a large number of intellectual and authorial initiatives. Contributions were considered to enrich the cultural and scientific life within the framework of a number of educational institutions, such as corners, schools, and schools, which were established in cities and metropolises that have always been famous for their abundant cultural reputation and prosperity, such as Bejaia, Tlemcen, Mazouneh, Constantine, and Mascara, which paved the way for the emergence of personalities who were characterized by science, piety, jihad, and politics. Among these personalities, we chose the Bey Muhammad. Bin Othman Al-Kabir is the subject of our research.

Keywords: Bey Muhammad bin Othman; urban achievements; Political and cultural achievements.

ISSN : *2735-3710* **eISSN :** *2735-3729*

مقدمة:

شهدت إيالة الجزائر أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ازدهارا وانتعاشا للحياة الفكرية والثّقافية، على خلفية تولّي الحكم من طرف شخصيات أعطت العلم أهمية بالغة، وترجمته من خلال إنشاء المدارس والمساجد وتقريب العلماء والإنفاق عليهم، ولعلّ من أهم هؤلاء نذكر محمد بن عثمان الكبير باي الغرب الجزائري الذّي قرّب إليه عدّة علماء وفقهاء من أمثال عبد القادر المشرفي والشّيخ أبو رأس الناصري وغيرهما، كما يرجع إليه الفضل في تأسيس عدد من المنشآت التعليمية كالمساجد والمدارس الباقية إلى يومنا هذا.

أمّا عن شخصية موضوعنا الباي محمّد بن عثمان الكبير فيعتبر أحد مشاهير الغرب الجزائري خلال العهد العثماني، كيف لا وهو الذّي قام بتغيير الوجه العام العلمي والثّقافي والحضاري لعديد المدن والبوادي بأغلب نواحي بايلك الغرب الجزائري، كما تحسّنت معه الظّروف فأخذ على عاتقه تحرير وهران من قبضة الصّليبيين الأسبان ورأى أن السّبيل الأوحد هو تقريب العلماء واستشارتهم والإغداق عليهم.

أ. إشكالية الدراسة وتساؤلاتها: مقابل كل ما ذكر سابقا، كان ولا بدّ لنا من تسليط الضوء على واحد من أهم المجاهدين والقادة العسكريين والسّياسيين الجزائريين خلال العهد العثماني، اشتهر بكثرة منشآته المعمارية وجهاده ونشاطه العلمي، من هنا أتت هذه الورقة البحثية لتميط اللّثام عن هذه الشّخصية الكبيرة التّي ذاع صيتها في الآفاق حتّى وصف صاحبها بالكبير، وتجيب على إشكالية رئيسية مفادها: فيما تمثّل تأثير وتأثّر شخصية الباي محمّد بن عثمان الكبير في مجتمعه كواحد من القادة العسكريين والسّياسيين المبادرين إلى تقديم إسهامات معمارية وعمرانية وثقافية وعلمية هادفة؟

وبهدف الإجابة على هذه الإشكالية ارتأيت طرح مجموعة من التساؤلات المتفرّعة عنها:

- من هو الباي محمد بن عثمان؟
- كيف تولّى حكم البايلك؟
- ما هي أهمّ منجزاته الحضارية والعمرانية وإنجازاته الثقافية والسياسية؟

ب. أهمية الدراسة: تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تعالج دور أحد القادة العسكريين والسّياسيين الجزائريين خلال العهد العثماني، وإبراز أهم منجزاته وإنجازاته، كما ترجع أهمّية هذه الدراسة أيضا إلى إثبات أنّ الجزائر في العهد العثماني كما كانت فعلا دارا للجهاد، فإنّها كانت كذلك مركزا للعلم.

وانطلاقا من هذه الأسس فإن دراستنا قسمت إلى خمسة (٤) محاور رئيسية، تحدّثنا في العنصر الأوّل عن مولد الباي محمّد بن عثمان ونشأته، ثمّ مررنا للحديث عن مولد توليته الحكم، وصولا إلى منجزاته المعمارية والعمرانية والحضارية، وفي

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

الأخير تطرّقنا للحديث عن إنجازاته السياسية والثقافية ومواقفه من قضايا عهده لاسيّما تحريره لمدينة وهران سنة ١٧٩٢م.

١. **مولده وحياته وتكوينه العلمي:** إن التّكوين القاعدي لأي شخصية وخلفيتها العائلية أو القبلية خلال العهد العثماني لعبت دورا كبيرا في تحديد العديد من الزّعامات السّياسية التّي اعتمدها الحكام العثمانيون بالجزائر، وما محمّد الكبير إلّا واحد من هؤلاء الزّعامات التّي ساهم تكوينها العلمي وسير حياته في تعيينه بايا على الغرب الجزائري.

١.١. **مولد وحياة الباي محمد بن عثمان الكبير:** لقد تناولت العديد من المصادر والمراجع حياة الباي محمّد بن عثمان الكبير، وهذا نظرا لما ساهمت به هذه الشّخصية في نشر العلم والمعرفة ببايلك الغرب الجزائري ووقوفه على إنشاء وبناء العديد من المرافق والمنشآت.

أ.مولده ونسبه: ولد محمد بن عثمان الكردي بمدينه مليانة وقد أشار ابن سحنون الراشدي في كتابه الثغر الجماني إلى ذلك بقوله: "... الكردي نسبا ثم لملياني مولدا ثم المعسكري منشأ..."[١] وكان يُلقب بالأكحل[٢] في الناحية التي كان يقطن بها (الجهة الغربية)، أبوه هو أبو إسحاق الحاج عثمان بن إبراهيم الكردي[٣] الذي كان خليفة على مليانة ثم أصبح بايا على بايلك التيطري، وأمه جارية اسمها زائدة أهداها المولى إسماعيل سلطان المغرب الأقصى[٤]، ورغم أنّنا لا يمكننا تحديد ولادته بدقه إلّا أنّ الكاردينال تيدنا (Thednat) قدّر عمر الباي محمد عند لقائه به في القصر عام ١٧٧٩[٥] بين الأربعين والخمسين سنة أي أنّه يكون مولودا ما بين ١٧٣٤/١٧٣٩م[٦].

---

[١] ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: البوعبدلي المهدي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٣م، ص١٢٨.

[٢] الأكحل: لقب أطلق عليه منذ صغره نظرا لسمرته. انظر: أحمد ابن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب إلى الجنوب الصحراوي ١٧٨٥، تق: محمد عبد الكريم ، المؤسسة العربية للدراسات النشر، ص١٥.

[٣] الكرديون: هم قوم صلاح الدين الأيوبي، وقيل أنهم من بقية طعم الملك بيوراسف وذلك كان يأمر أن يذبح له إنسانا ويتخذ طعاما من لحومهم و قيل أنهم من نسل سليمان عليه السلام لما سلب ملكه، للمزيد انظر: ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص١٢٧.

[٤] أحمد ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص١٥.

[٥] تيدنا Thednat: أسير فرنسي ولد سنة ١٧٥٨ في أوزيس من عائلة كاثوليكية ميسورة الحال مارس مهنة التجارة البحر، وأثناء رحلة له كانت من ملقا إلى مرسيليا على متن سفينة اسبانية وقع في الأسر من قبل العثمانيين ومن حسن حظه اشتراه باي معسكر وبقي عنده مدة ثلاث سنوات شغل خلالها كاتبا ثم خزندال وكتب مذكرته التي تحدث فيها عن مغامراته

ISSN : 2735-3710 eISSN : 2735-3729

ب. نشأته: نشأ الباي محمد الكبير في البلاط العثماني، وهذا راجع لتولي أبيه أبو إسحاق الحاج عثمان ابن إبراهيم الكردي بايا على بايلك التيطري[٧]، حيث تربى تحت كفالة أبيه الحاج عثمان الذي كان بايا على بايلك التيطري وكان محترما لدى الأتراك ومفضلا على سائر البايات، وذلك لأنّ التيطري أول ناحية خضعت للأتراك بعد مدينه الجزائر[٨].

وبعد وفاة هذا الأخير ترك أمرهم إلى صديقه الباي إبراهيم والذي كان بالنسبة لأبي إسحاق بمثابة الأخ وكان هذا الأخير قائد على مليانة، حيث تعهد بان يكفل عائله صديقه سواء في المدية أو معسكر إثر تعيينه بايا على الغرب[٩]، وصار محمد الأكبر هو المحبوب عند الباي وازداد قربه إليه بمصاهرته حيث زوجه ابنته فاطمة حتى بلغ به إشراكه في أمور الحكم ولم يكتفي بهذا الحد حتى ولاه على جميع الشؤون وقائدا لقبيلة فليتة ثم رقّاه سنه ١٧٦٨م إلى منصب خليفة له[١٠].

لقد اختلف عدة مؤرخين بشأن تاريخ وفاة الباي محمد الكبير حيث نجد عند الأغا ابن عودة المزاري تاريخ وفاته عام ١٢١٣ه/١٧٩٩م بعدما حكم عشرين سنة[١١]، والبعض الأخر مثل نور الدين بن عبد القادر وأحمد توفيق المدني حدّدوه بسنة ١٢١١ه/ ١٧٩٦م[١٢].

داخل القصر، انظر: أحميدة عميراوي، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، ٢٠٠٥م.

[٦] بلبروات عتو، الباي محمد الكبير باي وهران ١٧٩٧/١٧٧٩: حياته وسيرته، مجلة عصور، مج٠٢، ع٠٣، جوان ٢٠٠٣م، ص١٥٨.

[٧] أحمد ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص١٥.

[٨] عتو بلبروات، المرجع السابق، ص١٥.

[٩] محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح: البوعبدلي المهدي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م.

[١٠] أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر ١٧٩١/١٧٦٦: سيرته وحروبه وأعماله ونظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦م، ص١٤٠.

[١١] الأغا ابن عودة المزاري، سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج٠١، ص٢٩٧.

[١٢] حبيبة بوشارب، محمد الكبير باي الغرب الجزائري (١١٩٣ه-١٢١١ه/١٧٧٩م-١٧٩٧م)، مذكرة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على شهادة الماستر في التاريخ الجزائر الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة المسيلة، ٢٠١٩م، ص٤٣.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

أما فيما يتعلق بمكان وفاته فيذكر أحمد الشريف الزهار أن الباي محمد الكبير توفي وهو راجع إلى مدينة وهران بعد أن أدّى الدّنوش وأكمل ثمانية أيام لدى حضرة الداي حسن باشا فلما وصل إلى قبيلة السائح بن خضرة كبير أولاد قصير قرب قرية مزومة توفي هناك[١٣]، وقد قيل عن موته بأنّ حسن باشا هو من بعث إليه وأشربه سمّا، وكذلك قيل أنه مات فجأة من غير مرض[١٤].

دفن الباي محمد الكبير بمدرسة خنق النطاح بوهران وتولى بعده الحكم أكبر أولاده عثمان بن محمد[١٥].

١.٢. التّكوين العلمي للباي محمد بن عثمان الكبير: تعتبر شخصية محمد من الشخصيات التي اهتمت بالثقافة على عكس العثمانيين الآخرين حسبما أشار إلى ذلك الأستاذ أبو القاسم سعد الله قائلا: "...إلا أنّ هذه الشخصية تعد من الشخصيات القليلة التي كانت تملك رصيدا ثقافيا لابأس به"[١٦].

أ. تكوينه العلمي: لا نصادف مؤرخا جزائريا أو أجنبيا ينفي غزاره علم الباي محمد الكبير، فلقد اهتمّ أبوه عثمان الكردي وبعده الباي إبراهيم بتكوينه وسائر أفراد عائلته في المدية ثم معسكر[١٧]، وهذا ما يفسر اعتنائه بالعلماء وتشييده للمدارس ومستواه العلمي والثقافي بمخالطته لعلماء عصره أمثال ابن هطال التلمساني وابن سحنون الراشدي وأبي رأس الناصري، كما يذكر الأسير تيدنا أن الباي لم يكن من الشخصيات العادية بل كان من الطبقة المثقفة وتبين هذا له من خلال محاورته وتبادل الأحاديث معه، إضافة إلى إتقانه للغات الأخرى مثل اللغة الفرنسية والايطالية[١٨]

---

[١٣] تولى حسن باشا الحكم بعد محمد عثمان باشا عام ١٧٩١م، وتقلد عدة وظائف مدنية وعسكرية حيث كان قائدا للجيش الجزائري، كما تولى منصب وكيل الخرج، ثم أمانة مالية الدولة (الخزناجي)، ينظر: عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، ٢٠١١م، ج٠٣، ص٢٦٧.

[١٤] أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، تر: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، ١٩٧٤م، ص٦٣.

[١٥] صبرينة أمير وحورية زاير، المشروع الجهادي للباي محمد الكبير في تحرير وهران ١٧٩٢م، مذكرة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على شهادة الماستر في التاريخ الجزائر الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية ، جامعة البويرة، ٢٠١٩م، ص٣٩.

[١٦] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م، ج٠١، ص٣١٤.

[١٧] عتو بلبروات، المرجع السابق، ص١٦.

[١٨] عميراوي أحميدة، الجزائر في الأدبيات الرحالة والأسر من خلال العهد العثماني: مذكرات الأسير تيدنا، دار الهدى، الجزائر، ٢٠٠٣م، ص٥٤ -٥٥.

ISSN : 2735-3710 eISSN : 2735-3729

واهتمامه بالشعر والأدب والطب والمخططات العسكرية واشتغاله في الإدارة، كما أنّ أداءه لفريضة الحج سمح له بالاختلاط مع الفقهاء والعلماء المسلمين.

ب. تدربه على الفروسية: تلقى الباي محمد الكبير تكوينا في الفروسية، وظهرت خبرته في امتلاك الخيول العتيقة وركوبها، وكان صيادا ماهرا ولذلك نجده مولعا بتربية الصقور، وقال ابن هطال في الرحلة: "اجتمع عنده من الطيور الحسان المختلفة الأشكال والألوان ما لم يجتمع عند غيرة من الملوك" وكان يخرج للصيد بنفسه ولا يصطحب معه الكلاب لأنّ غرضه هو امتلاك طرائق مطاردة العدو الأسباني والقبائل العاصية.

٢. **توليه حكم بايلك الغرب الجزائري:** لقد كان للماضي المشرف الخاص بمحمد بن عثمان الأثر الكبير في بلوغه مرتبة الباي، حيث لم يتوانى الدّاي في تعيينه بايا على الإيالة الغربية منذ أواخر القرن ١٨م بعد تدرّجه في عدد من المناصب السياسة ودرجات الحكم.

٢.١. **تدرجه في المناصب السّياسية قبل تعيينه بايا على الغرب الجزائري:** نظرا لما كان يتمتع به الباي محمد الكبير من كفاءة وحنكة وقدرة على تسيير الأمور في مختلف المجالات السياسية العسكرية وحتى الدينية ظلّ يرتقي في المناصب.

أ. **قيادة قبائل فليتة ١٧٦٥-١٧٦٩م:** بعد تعيين إبراهيم بايا للغرب وهو الذي كفل عائلته بعد وفاة أبيه، وبعدما أظهر محمد بن عثمان نجابته تمّ تعيينه قائدا على قبائل فليتة سنة١٧٦٥م بزمورة ناحية غليزان[١٩]، وكانت هذه الأخيرة من القبائل القوية ذات الأصل العربي المشهورة تاريخيا وقد أشار إليها ابن سحنون الراشدي في كتابه الثغر الجماني قائلا: "...كانت فليتة القبيلة المشهورة التي لا تحومها النسور ولا يمر فيها من غير الأيام المحلة إلا قتيل أو أسير يقطعون السبيل ويجزعون من عزاهم..."[٢٠].

ما يُلاحظ من خلال قول الرّاشدي هو أنّ هذه القبائل ليس من السهل قيادتها أو إخضاعها لنظام الحكم إلا أنّ بن عثمان استطاع إخضاعها وإجبارها على طاعته وألحقها بنظام البايلك.

شارك محمد الكبير في الدفاع عن مدينه الجزائر وأبدى شجاعته وبسالته فشكره عثمان باشا وطلب من الرعية أن يعينوه مكان الباي إبراهيم بعد وفاته، إلا أن الحاج خليل عُيّن على رأس معسكر قبل حملة أورلي بقليل وهي التي شارك فيها محمد الكبير بالنيابة عن الباي الخليل[٢١].

[١٩] عتو بلبروات، المرجع السابق، ص١٥٨.
[٢٠] أحمد ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص١٦.
[٢١] صالح عباد، المرجع السابق، ص١٧٤.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

ب. خلافة الباي محمد الكبير للباي إبراهيم ١٧٧٩/١٧٦٩م: عندما رأى الباي إبراهيم أن محمد الكبير قد قام بواجبه على أحسن وجه وأظهر براعته في القيادة وحسن التّسيير عيّنه خليفة له سنة ١٧٦٩/١٧٨٢م، وبعد مدة قليلة أشركه في جميع حكمه ومنحه إدارة جميع الناحية الشرقية لبايلك الغرب[٢٢]، وبهذه الصفة حارب قبيلة أولاد شريف وأخضعها[٢٣] حتى صار يمدح من قبل السلطة الحاكمة في ديوانهم في قول ابن سحنون الراشدي: "...وسلطان الجزائر يفتخر به في ناديه ويهدد به أعاديه وأسيره يبتهج ابتهاجا والملك بعده لمفرقه تاجا والرعية حامية لسيرته الواسعة الإحسان تلمع من أسارير سريرته ومآثر تخطب الارتفاع وتطلب له أكبر الرتب ليعمر به الانتفاع"[٢٤].

وفي أيام خلافته تعرضت الجزائر إلى حملة أوروبية إسبانية بقيادة أورلي عام١٧٧٥م انطلقت من إسبانيا، وكم كانت دهشة الأسبان عظيمة لمّا شاهدوا شواطئ العاصمة محصنة بالمدافع وفي الوقت الذي كانت تتضاعف من حين إلى آخر كانت الإمدادات قادمة من كل مكان لذلك قررت القيادة الأسبانية الانسحاب[٢٥].

٢.٢. تعيين الباي محمد بن عثمان بايا على الغرب الجزائري١٧٧٩/١٧٩٧م: بعد وفاة الباي إبراهيم طلب الرعية تعيين محمد الكبير بايا عليهم، إلا أنّه حال بينهم وبين طلبهم ذلك تعيين الحاج خليل، وبعد وفاة هذا الأخير تمّ تعيين محمد الكبير بايا على الإيالة الغربية[٢٦]، ويرجع الفضل في ذلك إلى دراية هذا الأخير بشؤون الإدارة خاصّة بعدما نجع محمد بن عثمان في أداء المهام المخولة إليه سابقا وكذا مباشرة العديد من الإصلاحات الفكرية والثقافية والاقتصادية[٢٧].

وبعد تعيينه شرع في إصلاح شؤون الرعية والسهر على مصالح العباد وتنظيم البلاد فراح ينشر الأمن ويؤلف بين قلوب الناس[٢٨]، وتصادفت فتره تعيينه بالمجاعة التي ضربت البلاد فواجهها وتصدى لها بجزم وفي عهده انتشر الطاعون كذلك وظل

---

[٢٢] ابن هطال، المصدر السابق، ص١٦.

[٢٣] صالح عباد، المرجع السابق، ص١٧٤.

[٢٤] ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص-ص ١٣٤-١٣٥

[٢٥] مبارك ابن محمد الميلي، تاريخ الجزائر الحديث والقديم، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، ١٩٦٤، ج٠٣، ص-ص٢٣١-٢٣٢.

[٢٦] ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص١٧.

[٢٧] بصحراوي محمد وبوسوار مليكة، الباي محمد الكبير ودوره في بايلك الغرب الجزائري ١٧٩٧/١٧٧٩، مذكرة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على شهادة الماستر في التاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة ابن خلدون، تيارت، ٢٠١٦م، ص٤٥.

[٢٨] ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص١٧.

ISSN : 2735-3710 eISSN : 2735-3729

متفشيا حوالي عشر سنوات حيث خلف هذا الوباء أمواتا وصل عددهم إلى الخمسمائة جنازة كل يوم، ولقد واجه محمد الكبير المجاعة بشراء القمح من أوروبا وتقسيمه على الرعية بالمجان وعفي عن الفلاحين من دفع الضريبة.[٢٩]

٣. **أهم المنجزات الحضارية والعمرانية:** لا شكّ في أنّ العمران والعمارة هو المدلول المادي المتواتر عبر مختلف الفترات الزّمنية، ولا يختلف اثنان في كون الباي محمّد بن عثمان من أكثر الحكّام بناء وإنشاء ببايلك الغرب.

٣.١. **المساهمة الثّقافية والعلمية للباي محمد بن عثمان:** ممّا يُقال في هذا المجال هو تلك المعطيات التّاريخية المتواجدة في مختلف المصادر المتناولة لفترة حكم الباي محمد بن عثمان الكبير، والتّي اتفقت في مجملها على اهتمام هذا الأخير بالمجالين الثّقافي والعلمي.

أ.اهتمام الباي محمد الكبير بالعلماء: ساهم الباي محمد الكبير منذ توليه شؤون هذا البايلك في النهوض بالحياة الثقافية وجعلها من أولوياته فعمل على تقريب العلماء إلى مجالسه وديوانه في المناسبات والأعياد[٣٠]، ولقد ذكر ابن سحنون هذا في قوله: "إن أهل الوظائف كالخطباء والأئمة والمؤذنين والمؤدبين كان يقدم لهم بعض الهدايا في كل الموسم أو المناسبات كالأعياد"[٣١]، حيث قبل أن ينتقل محمد الكبير إلى وهران ليتخذ منها سكنا قام بجمع العلماء ليستشيرهم في شأن وهران التّي كان بها أعوانا للأسبان[٣٢]، وأيضا كان يوجههم ويرشدهم إلى المناصب فأحمد ابن هطال التلمساني قد شغل عدة مناصب سياسية وكان مستشارا للباي وكاتبه الخاص ومبعوثه في المهام الخارجية، والعلامة الطاهر بن حوا كان قاضيا معسكر ومثله عبد الله بن حواء الذي تم تعيينه مفتيا وقاضيا بمدينة معسكر[٣٣]، كما قام هذا الباي بوضع المرتبات للعلماء والمدرسين يأخذونها من الأحباس بعد أن كان العلماء لا ينتفعون من ناحية المخزن بشيء إلا من كان متوليا لخطة أو مستعملا في خدمة، فاتسع بذلك حال العلماء وانشرحت صدور القراء وكثر طلبة العلم[٣٤].

---

[٢٩] صالح عباد، المرجع السابق، ص١٧٤.

[٣٠] محمد الأمين شرويك، جهود محمد الكبير وصالح باي في تشجيع حركة الثقافة والتعليم في الجزائر العثمانية على ضوء المصادر المحلية والأجنبية، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، مج٠٣، ع٠٢، ٢٠١٨م، ص٣٧٠.

[٣١] ابن سحنون الراشدي، المصدر سابق، ص١٥٢.

[٣٢] محمد الأمين شرويك، المرجع سابق، ص٥٧١.

[٣٣] نفسه، ص٥٧٢.

[٣٤] نفسه، ص٥٧٢.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

ب. تشجيعه لحركة النسخ والتأليف: يعد الباي محمد الكبير من أشهر الحكّام الذين شجعوا حركة النسخ والاستنساخ، فقد شجع الطلبة وكتّابه على اختصار الكتب المطولة ونسخ بعض الكتب الأخرى له[٣٥].

ومن ذلك أنّ الباي قد أمر محمد بن رقية التلمساني بالكتابة عن حملة التي شنها الباي والمسمّاة "حملة أورلي" سنة١٧٧٥م، فتناولها هذا الكاتب في تأليف سمّاه: **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها الجنود الكفرة**، حيث يقول ابن رقية أنه ألّف هذا الكتاب بطلب من الباي[٣٦]، وكذلك من التآليف التي ألّفت نجد:

- كتاب **عجائب الأسفار** لمحمد أبي رأس الناصري المعسكري .
- كتاب **الثغر الجماني** لأحمد بن علي بن سحنون الراشدي.
- كتاب **الرحلة القمرية في الأخبار المحمدية** لمصطفى بن عبد الله بن زرقة.

وغيرها، والملاحظ أنّ هذه التآليف تدلّ على ما يتميز به الباي من الإحسان المستمر[٣٧]، وأمر الباي بن سحنون مؤلف الثغر الجماني بأن يختصر كتاب الأغاني في نحو ثمانين كراسة[٣٨] فأثابه بمائة سلطاني ثم أمره بجمع قاموس فضمّمه فأثابه بخمسين سلطانيا[٣٩].

كذلك نجد تأليف كتاب عن غزوة محمد الكبير إلى جنوب الصحراوي لكاتبه أبو العباس الحاج أحمد بن محمد بن هطال التلمساني الذي كان مستشارا لمحمد الكبير في مهامه الحربية والعسكرية[٤٠].

ت. عناية محمد الكبير بالأوقاف: يعتبر الوقف من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية، وهو يعبر عن إرادة الخير في الإنسان المسلم وعن إحساسه العميق بالتضامن مع المجتمع الإسلامي، ولهذا اتبعه كافة المسلمون منذ أوائل الإسلام وخاصة تطور في العهد العثماني نتيجة اعتبارات سياسية واقتصادية وقد كانت الجزائر من بين المناطق الإسلامية التي شملها هذا التطور[٤١].

يقوم الوقف بالعناية بالعلم والعلماء والفقراء والعجزة واليتامى وأبناء السبيل وكذلك يقوم بالعناية بالمساجد والمدارس والزوايا والأضرحة، فهو مصدر عيشهم

[٣٥] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج٠١، ص٢٩٢.
[٣٦] محمد الأمين شرويك، المرجع السابق، ص٥٧٢.
[٣٧] ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص٢٦.
[٣٨] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص٢٩٢.
[٣٩] ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص١٥٥.
[٤٠] ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص١٣.
[٤١] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص٢٢٧.

ISSN : 2735-3710 eISSN : 2735-3729

ودور هام في التضامن فئات المجتمع وترابط بعضهم البعض[٤٢]، كما اهتم الباي محمد الكبير بهذا الجانب بتمويل مؤسسات الأوقاف وتشجيع المدرسين والطلبة وقد ذكر ابن سحنون الراشدي: "أنه رتب المدرسين في الجوامع بوظائف يأخذونها من الأحباس بعد أن كان العلماء لا ينتفعون من ناحية المخزن بشيء..."، كما أيضا إلى حال العلماء بقوله: "فاتسعت بذلك حال العلماء وانشرحت الصدور للقراءة وشرهت لها النفوس، وكثر طلبة العلم...."[٤٣].

واهتم الباي محمد الكبير بإنشاء الفنادق وتوفير المياه وزاده في الأحباس مثل الجامع الأكبر وكذلك توظيف المدرسين ووفر لهم أجورهم عن طريق الأحباس وتعتبر كل من مدينة تلمسان والجزائر ومستغانم شهدت هذه الأوقاف[٤٤].

ث. إحياء الرابطات الطلابية: اهتم الباي محمد الكبير بإحياء الرباطات الطلابية، فهذه الأخيرة قدّمت دورا جد هام في العمليات الجهادية ضد الأسبان، وذلك من خلال تعبئة الناس والنشر ثقافة الجهاد وإحياء وتشجيع طلب العلم خاصة وأن الباي محمد الكبير كان يشرف بنفسه على سير هذه الرابطات، وبحث على الانضمام إليها بشتى الوسائل كتشجيع الطلبة ماديا ومعنويا[٤٥] .

٣.٢. العمارة والعمران في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير: ارتبطت العديد من المنشآت المعمارية بمختلف حواضر بايلك الغرب الجزائري بناء وإنشاء وترميما ودعما ومساهمة بالباي محمد بن عثمان الكبير، فبمعسكر رمّم الجامع الكبير وأعاد بناءه وابتنى مسجد عين البيضاء والمدرسة المحمدية المجاورة له وحمامه هناك، وأنشأ قصرا للحكم بوهران زيادة على مسجديه هناك جامع الباي محمد بن عثمان وجامع الباشا، إضافة إلى مدرسته التّي دفن فيها بخنق النّطاح، ورمّم ضريح سيدي بومدين بتلمسان ومدرسته، وابتنى ضريح ومسجد سيدي قندوز بالغزوات، وأقام مشهد سيدي امحمد بن عودة بغليزان ومثل ذلك فعل مع سيدي بهلول المجاجي قرب تنس.

أ.جامع الباشا: شيده الباي محمد الكبير بأمر من حسن الباشا، حيث يتميز هذا الأخير بمنارة مرتفعة ويحتوي على مدخل جميل من أجمل الأعمال المعمارية،كما يحتوي هذا المدخل على زخارف كتابية بالخط الكوفي وزخارف نباتية متمثلة في المراوح النخيلية بالإضافة إلى التناسق بين الخطوط والانحناءات والزوايا، ويحتوي

---

[٤٢] نفسه، ص٢٣٠.

[٤٣] ابن سحنون الراشدي، المصدر سابق، ص١٤٣.

[٤٤] ابن سحنون الراشدي، نفسه، ص١٤١.

[٤٥] محمد مقصودة، الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني١٥١٩م-١٨٣٠م، رسالة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وهران، ٢٠١٤م، ص١٨٦.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

أيضا على آية قرآنية[٤٦]، وبني خلال الفتح الأخير سنة١٢٠٧ه/١٧٩٢م[٤٧]، وذلك بأمر من حسن باشا داي الجزائر ببنائه وتحمل نفقات البناء[٤٨]، أكّد هذا محمد الزّياني في قوله: "...وبنى الجامع الأعظم المغزو للباش الحسن وكل ما صرفه عليه هذا الأمير فمن عند الباش"[٤٩]، حيث أرسل الداي للباي صندوقين مملوءين واحدا بعد واحد ليصرفها على البناء، وبعث أمير البنائين محمد الشيشاني بن بيرت، ولما شرع في بنائه حفر أساسه في البستان تحت البرج الأحمر وجمع لمنارته حجرا ضخما أتى به من برج الصبايحية في أربعة أيام متتالية وكل ما صرفه الباي محمد الكبير على الجامع فهو مقيد في دفاتره[٥٠].

ب. مدرسة خنق النطاح: أنشأها الباي محمد الكبير ابن عثمان بعد فتح وهران للمرة الثانية والأخيرة، فشيده في سنة ١٢٠٧ه/ ١٧٩٢م حسب ما هو مذكور في اللوحة التذكارية بالمئذنة الجنوبية[٥١]، وقبل أن يكون مسجدا كان عبارة عن مدرسة ثمّ حوّله الباي إلى مسجد وأصبحت تسمى بمسجد الباي محمد الكبير حيث كانت تؤوي هذه المدرسة الطلبة والمجاهدين المرابطين ضد الأسبان، وبعد أن فتح الفتح الثاني انتقل إليها الباي محمد الكبير مع أسرته فأصبحت عبارة عن مسجد خاص بأسرة هذا الباي[٥٢]، وكان ذلك هروبا من الوباء الذي ضرب البلاد، ويتكون من مدخل بسيط وفتحة في الجدار الجنوبي بالولوج مباشرة إلى قاعدة الصلاة المستطيلة حيث تتركز الأعمدة التي يتركز عليها السقف وفي الجدار الشرقي عبر المدخل يمكن الدخول إلى قاعة مربعة وصغيرة وفي جانب هذه القاعة نجد غرفتان صغيرتان تؤديان إلى الجنوب من المسجد والمئذنة حيث تتميز بالزخارف المعمارية ومساحات متراكمة مع بعضها البعض تشغلها حنفيات بشكل بوائك العقود تتخللها فتحات بسيطة[٥٣].

---

[٤٦] خيرة بن بلّة، المنشآت الدّينية بالجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على درجة الدكتوراه في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر، ٢٠٠٨م، ص٨٩.

[٤٧] مبروك مهيريس، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٩م، ص٣٧.

[٤٨] ابن هطال التلمسانيّ، المصدر السابق، ص٢٩.

[٤٩] محمد الزياني، المصدر السابق، ص٢٦٧.

[٥٠] ابن عودة المزاري، المصدر السابق، ص٢٩٥.

[٥١] مبروك مهيريس، المرجع السابق، ص٣٩.

[٥٢] خيرة بن بلة، المرجع السايق، ص١٢٨.

[٥٣] توامة نعناعة، عمارة المساجد العثمانية في بايلك الغرب بين استمرار الطرز المحلية ومظاهر الانفتاح على الطرز الوافدة، ٢٠١٩، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج٠٣، ع٠١، ٢٠١٩م، ص١٣٠.

ISSN : 2735-3710 eISSN : 2735-3729

ت. ترميم المسجد العتيق: عرفت المساجد بالغرب الجزائري خلال الفترة العثمانية بتشابه مخطّطاتها وعناصرها المعمارية، خاصة تلك القريبة من الحصون والرابطات الجهادية من حيث الهندسة ونمط المآذن وطريقة البناء التي غلب عليها الطابع الفني الأندلسي[٥٤]، أمّا عن المسجد العتيق بمعسكر فيعود بنائه إلى الباي عصمان أو عثمان، ثم جدّده الباي محمد الكبير ووّسعه وأبدل منبره وأجرى له الماء وجعل بقربه خمس أحواض للوضوء فقد سنة١٢٠٥ه١٧٩٧م، وهو المعروف بمسجد سيدي حسان أو مسجد المبايعة.

ث. الجامع الأعظم بمعسكر: اشتهر خلال العهد العثماني في الجزائر وجود منارات دينية وعلمية في كل حاضرة من حواضر الجزائر، ومن هنا فقد ابتنى الباي محمد الكبير الجامع الأعظم بمعسكر والذّي لعب دورا هاما في الحركة الثقافية، بُني هذا المسجد في ذي القعدة ١١٩٥ه الموافق لنوفمبر١٧٨١م، وزيادة على هذا فقد شيده الباي من ماله الخاص، حيث واجهته مجموعة من الصعوبات والعراقيل وقت تشييده منها تلك الصبغة التي أثرت على المشاركين في عملية البناء، إلا أن ذلك لم يؤثر على الباي في مواصلة البناء بإعلانه بأنّ كل من لم يجد قوت يومه يتقدم للمشاركة في عملية البناء بأجرة معلومة يستعين بها على توفير قوته، في محاولة من الباي لصدّ وتحطيم جميع العوامل التي حاولت عرقلة مشروعه الحضاري بمعسكر[٥٥].

ج. المدرسة المحمدية: سميت بهذا الاسم نسبه إلى مؤسسها الباي محمد الكبير وتبركا بالنبي محمد ﷺ، واسمها الحقيقي المدرسة الحايطة، وتعتبر المدرسة المحمدية من أهم المدارس التي أسسها الباي محمد الكبير في الغرب الجزائري لما كان لها صدى واسع في العالم العربي والإسلامي، حيث اعتبرت أكبر معهد علمي يضم الأساتذة الأكفاء المتفرغين لمهنة التعليم لا غير، إذ تمكن محمد الكبير بفضل تلك المدرسة أن يجعل من مدينة معسكر عاصمة علمية كبيرة كما قال أبو رأس الناصر: "إن المدرسة المتعارف عندنا هي التي تبنى لدراسة العلم كالمدرسة البوعنانية بفاس والمدرسة المستنصرية والبياشية بتونس والقشاشية بالجزائر"[٥٦]، وكانت المدرسة ملحقة المسجد الأعظم وأضاف لها مكتبة زودها بالكتب، وتحولت المدرسة إلى الرباط أثناء الفتح إذ خرج علمائها وطلبتها بأمر من الباي.

٤. أهم انجازاته السياسية والعسكرية: إن القيادة أو منصب الحكم الممنوح للباي محمد بن عثمان الكبير لا شكّ وأنّه يمنحه الكثير من السّلطة في المجال السّياسي ومزيدا

---

[٥٤] بصحراوي محمد وبوسوار مليكة، المرجع السابق، ص-ص٩٦-٩٧.

[٥٥] قدور بوجلال، المنشآت التعليمية بمعسكر في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج١٧، ع٠٢، ٢٠١٧م، ص-ص ٢٣٩-٢٤٤.

[٥٦] نفسه، ص٢٤٩.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

من القوّة والدّعم في المجال العسكري، وهو الأمر الذّي نتج عنه العديد من الإصلاحات والمشاريع السياسية والعسكرية.

٤.١. **انجازاته السياسية:** عرف محمد الكبير بالترقي في المناصب من قائد على فليتة بزمورة ناحية غليزان (١٧٦٥-١٧٦٩م) إلى خليفة للباي إبراهيم في القطاع الشرقي وقاعدته مليانة[٥٧]، حيث عين خليفة للباي وذلك لحسن التسيير والحكم وبعد فترة أشركه معه في أعمال الإدارة ومنحه التسيير الشؤون الناحية الشرقية من الإيالة الغربية[٥٨]، وبهذه الصفة حارب أولاد شريف[٥٩] وفي سنة١١١٩ه تحرك الأسبان لغزو الجزائر بأسطول عظيم تحت قيادة أورلي، فشارك محمد الكبير في الدفاع عن الجزائر بجيشه الباسل وأبدى في المعركة شجاعة الكبيرة وأذاق الجيوش الأسبانية مرارة فشكره الداي محمد عثمان باشا شكرا جزيلا وأثنى عليه الناس أجمعون[٦٠].

ولمّا توفي إبراهيم باي سنة ١١٨٩ه/١٧٧٥م طلبت الرعية من الداي أن يعين مكانه محمد الكبير بايا على الإيالة الغربية وكاد الداي ينفذ رغبة الرعية لولا تعرض أحد الأغنياء –الحاج خليل- لابتياع هذا المنصب من الداي بثمن باهض وضع في خزانة مال الدولة حسب ما جرت به العادة أنذالك، وهكذا بقي محمد الكبير يشغل منصب خليفة مترقبا فرصة متاحة فيرتقي إلى مرتبة باي.

اجتمعت الطائفة الدرقاوية بموضع يقال له عين الحوت قرب عين تموشنت وقررت الخروج عن دولة الأتراك وفي تلك أثناء فجأة توفي الباي دون أن يعرف سبب لوفاته، فاستجاب الداي لرغبة الرعية وعين محمد الكبير بايا على الإيالة الغربية للجزائر[٦١] وكان هذا الاختيار يعود لعدة اعتبارات منها:

- شجاعته ومواقفه الحازمة.
- إقدامه على العلم والفروسية.
- أخلاقه الفاضلة.

[٥٧] مليانة: تقع غرب الدائرة التي تسمى باسمها وهي دائرة مليانة، لها جو معتدل وتجري فيها مياه كثيرة وعذبة، للمزيد ينظر: عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث (الجزائر-المدية-مليانة)، ط١، شركة دار الأمة، الجزائر، ٢٠٠٧م، ص٢٨٩.

[٥٨] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص١٤٠.

[٥٩] صالح عباد، المرجع سابق، ص١٧٤.

[٦٠] أحمد ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص١٧.

[٦١] ابن هطال التلمساني، المصدر سابق، ص١٨.

ISSN : 2735-3710 eISSN : 2735-3729

وجاء تعيينه في وقت كانت تعرف فيه الجزائر مجاعة كبيرة وانتشار مرض الطاعون منذ سنة ١٧٨٦م، وظل متفشيا حوالي ١٠ سنوات[٦٢].

وبعد جلوسه على كرسي الحكم وتعينه بايا، شرع في إصلاح الشؤون الرعية والسهر على مصالح العباد وتنظيم البلاد وكذلك نشر الأمن وفرض حكمه على قبائل المتمردة مثل قبيلة أولاد علي بن طلحة وقبيلة فليتة وكذلك حميان وعمورة والتي كانت تمارس اللصوصية وقطع الطريق على المسافرين ،فانتصر على الجميع وأخضعهم للحكم التركي[٦٣].

٤.٢. **انجازاته العسكرية:** انقسمت انجازاته العسكرية عبر عدّة مراحل نذكر منها

● **المرحلة الأولى(١٧٨٠-١٧٨٧م):** كان الباي محمد ينظم غارات ضد الأسبان بوهران كل شهر رمضان من كل سنة، فيقابل بمدافعه حصون وأسوار وهران التي كانت تخلف القتلى والجرحى في صفوف جنوده[٦٤].

ويشير ابن سحنون الراشدي إلى أن الباي محمد الكبير شن حملتين على الأسبان ،حملة الأولى شهدت عدة ضحايا من طرف الأسبانيين القتل والأسر يقول ابن سحنون الراشدي: "وبعث مرة قوما إلى جهاد ودفع ثيابا من أثواب النصارى القادمين إلينا، وأمرهم أن يكمنوا قرب البلد ويلبس بعضهم تلك الأثواب ويظهر للنصارى على هيئة نصارى هاربين من بلدهم إلينا ففعلوا ذلك، فلما رأوهم لم يشكوا أنهم منهم فخرجوا في إثرهم، وخرج عليهم الكمين فقتلوا منهم جماعة وأسروا بعضهم، أما حملة الثانية فكان ضحيتها أحد المسلمين فارين إلى الأسبان رفقة امرأة كانت تصاحبه فأسكنوه خارج البلد تحت السور في بعض المغارات هناك، فقد أغري الضحية بعملية اصطحابه لبيع الثياب وقتلوه"[٦٥].

إن هذه الغارات والهجمات التي كان يقوم بها الباي وأعوانه أقلقت الأسبان مما جعلهم يشددون على الحراسة وبناء أسوار مدينة.

● **الهدنة الأولى(١٧٨٥-١٧٨٧م):** توقفت حرب الاستنزاف التي شنها محمد الكبير على الأسبان بوهران١٧٨٥م استجابة لمساعي الصلح الأسبانية لدى قصر الداي محمد عثمان باشا، وبعد سنة كاملة تم التوقيع على معاهدة الصلح في جوان ١٧٨٦م.

● **المرحلة الثانية (١٢٠١-١٢٠٤ه/١٧٨٧-١٧٩٠م):** إنّ من بين العوامل التي ساعدت على الدخول في هذه المرحلة هو استغلال الباي محمد الكبير الهدنة الأولى في

---

[٦٢] صالح عباد، المرجع سابق، ص١٧٤.

[٦٣] ابن هطال التلمساني، المصدر سابق، ص١٨.

[٦٤] بن عتو بلبروات، إستراتيجية الباي محمد الكبير فتح وهران والمرسى الكبير ، مجلة الثقافة، ع٠٦، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ٢٠١٠م، ص٥٣.

[٦٥] ابن سحنون راشدي، المصدر السابق، ص٢٠٥.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

سنة ١١٩٩ه/١٧٨٥م مع الأسبان، وهذا لأجل الهجوم على قبائل الهضاب وفرض الاستقرار السياسي والعسكري في بايلك الغرب إضافة إلى داي الجزائر محمد عثمان باشا لم يعارض مشروع تحرير المدينة ،كما وقعت مناوشات بين القبائل العربية والقبائل التابعة للأسبان بضواحي وهران، فاضطر الباي إلى تحديد حروبه مع الأسبان، فكل هذا ساعده من أجل تحرير المدينة[٦٦].

حيث قام الباي محمد الكبير خلال هذا الحصار بجمع القبائل الرباط حول ضواحي وهران يوميا إلى غاية تحيق الفتح، ووقع اختياره على المدرسة المحمدية محمد بن عبد الله الجيلالي فعينه رئيسا للرباط وعين له مساعدين هما القاضي الطاهر بن حواء وكاتبه، كاتب الباي محمد المصطفى بن زرقة الدحاوي متخذا في ذلك العديد من الإجراءات في أغلبيتها إغرائية كإسقاط المطالب المخزنية على المرابطين وتزويدهم بالعدة والخيل وتقسيم الغنائم عليهم، اعتمد الباي في حصاره لوهران على بعث السرايا ونصب الكمائن للعدو[٦٧].

وقد ذكر ابن سحنون الراشدي في قوله: "أن الأمير-أبد الله رفعته وخلد منعته- لم يزل منذ ولي يتحيّل على الظفر بالكفرة، وينصب لهم المكائد والخدع الشبيهة بالأشراك التي تنصب للكثير ليقبض، فتارة يوجه لهم المهرة بالسباحة في البحر فيبتون من قدروا عليه منهم في بيوتهم يأتونه برؤوسهم، وتارة يرصد لهم الكمين قرب أسوارهم حتى يظفروا بهم..."[٦٨].

في بداية شهر أوت سنة١٧٩٠م بدأت هزات الأرضية الخفيفة ولكنها توقفت، وفي منتصف شهر سبتمبر على الواحدة من صباح يوم ٠٩ أكتوبر وقعت الهزات العنيفة التي خربت الجزء الأكبر من المباني والمنازل ونتج عن هذا الزلزال اندلاع الحرائق في كل أماكن وفرار السجناء من سجونهم وكذلك مقتل عدد كبير من الجنود الأسبان[٦٩]، وكان بينهم الحاكم العام الأسباني النيابة دون نيكولا غارسيا، والتهمت

---

[٦٦] عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة إسلامية ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وهران، ٢٠١٤م، ص٢٩.

[٦٧] كاميلية دغموش، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الأسباني والسلطة العثمانية (١٥٠٩م-١٧٩٢م)، رسالة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وهران، ٢٠١٤م، ص١٥٣.

[٦٨] ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص٢٠٤.

[٦٩] صالح عباد، المرجع السابق، ص١٧٢.

ISSN : 2735-3710 eISSN : 2735-3729

النيران بعض السفن وأماكن أخرى[٧٠]، وقد امتد تيار هذا الزلزال إلى مدينة معسكر إلا أنها لم تصب إلا بخسارة طفيفة جدا[٧١].

حيث كان هذا الزلزال فرصة مناسبة من أجل إعلان الحرب الشاملة، وبدأ محمد الكبير يهاجم المدينة التي لم يبقى فيها سوى حوالي١٥٢٨م جندي اسباني يدافعون عنها رغم الخسائر الكبيرة التي أحدثها الزلزال[٧٢].

●**المرحلة الثالثة:** كانت زلازل وهران حافزا استعجالي لمحمد الكبير، فتحرك من مدينة معسكر يوم الخميس في ١٣ من شهر صفر سنة١٢٠٥ه/١٧٩٠م بخمسة ألاف مقاتل متوجها إلى مدينة وهران بقصد فتحها[٧٣].

وبعد هجومات متوالية على أسوار المدينة قام بها جيش الباي في غضون أسبوعين، قرر الباي أن يبقى جيشه هناك محاصرا للبلاد بالغا منها في الدقة والتنظيم[٧٤]، واستمرت الأعمال الطويلة القاسية طوال فصل الربيع والصيف سنة١٧٩١م ونشوب المعارك بين الطرفين فقد كانت قوى الباي تتقدّم رغم الدفاع الباسل للأسبان حتى ضاعت كل آمالهم[٧٥].

وبعد تراجع قوى الأسبان عن هذه المعارك قامت الحكومة الأسبانية بمفاوضات مع الداي الجزائر سنة١٧٩١م، ورغم هذه المفاوضات إلّا أنّ الحرب بقيت متواصلة بين الطرفين[٧٦]، حيث قام محمد الكبير بالاتصال بالانجليز ليشتري منهم مدافع وقنابل وبالإضافة إلى استعانته بنجارين وحدادين وصناع النيران الصناعية الذّين أتى بهم من ناحية فيقيق.

وعندما ورد هذا الخبر على الإسبانيين شرعوا في المفاوضات مع الجزائر وطلبوا هدنة إلى غاية ٢٢ أفريل فاغتنم باي معسكر هذه الفرصة ليسير إلى مستغانم ويجلب منها المدفعية الثقيلة التي كانت موجودة بها إلى حصن سيق[٧٧].

رفض الأسبانيين الاستسلام التام فعاد القتال بمبادرة من الطلبة، وفي ٠٣رمضان/٠٧ماي غادر الباي سيق متوجها إلى واد تليلات فزار الطلبة بإيفري ونظم فرقة مكونة من نخبة الجنود تضم ٥٠٠جندي كلفهم بحماية الجنود الذين

---

[٧٠] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (١٤٩٢م-١٧٩٢م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص٥٢٤.

[٧١] ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص٢١.

[٧٢] عبد القادر بلغيث، المرجع السابق، ص٣٠.

[٧٣] ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص٢١.

[٧٤] نفسه، ص٢١.

[٧٥] أحمد توفيق المدني، المرجع سابق، ص٢١.

[٧٦] عبد القادر بلغيث، المرجع سابق، ص٣٢.

[٧٧] رشيد بوريبة، وهران فن وثقافة، منشورات وزارة الإعلام، الجزائر، ١٩٨٣م، ص١٠٨.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

يضعون الألغام، ثمّ في ٥شوال/٨جوان استطاع الأتراك أن يخربوا أسوار برج سانتا كروز ولكن المعسكر واصل المقاومة وبعد تسعة أيام نظم محمد الكبير مدفعيته في السهل وتمركز عثمان بين الطريق التي تؤدي إلى إيفري ومحلة أبيه[٧٨].

وفي أواخر شهر أوت١٧٩١م وبعد سلسلة من المفاوضات بين الداي الجزائر والملك الأسباني اختار نهائيا تسليم البلاد المحتلة على الصورة التي تركها المسلمون سنة١٧٣٢م، وانتهت بعقد الصلح بين الطرفين في جويلية١٧٩١م بعد وفاة عثمان باشا الذّي خلفه الداي حسان باشا أين قبل بعقد الصلح مع إسبانيا بشروط منها:

-تنسحب إسبانيا من وهران والمرسى الكبير دون قيد أو شرط.

-تدفع إسبانيا لخزينة الجزائر سنويا مقدار١٢٠٠٠٠ فرنك وهو ما يعادل٢٤٠٠٠٠ دينار جزائري.

-ترجع إسبانيا للجزائر كل القنابل والمدافع والذخيرة التي غنمتها عند استرجاعها لوهران والمرسى الكبير.

-حمل سفينة إسبانية بصفة رسمية إلى اسطنبول مفتاحين ذهبيين رمزا للاستسلام، إضافة إلى جرتين من ماء عيون وهران إلى الخليفة والسلطان العثماني كبشرى بالفتح وتأكيده للرابطة مع دولة الخلافة.[٧٩]

خاتمة:

لقد كان للباي محمّد بن عثمان الكبير الدّور الأهم في عمران وعمارة حواضر بايلك الغرب الجزائري وحتّى البوادي والأرياف، وامتدّت إنجازاته لتشمل الجانب الثّقافي بتشجيع الحركة العلمية والجانب العسكري القائم على فرض نظام السلطة الحاكمة.

ممّا يمكن التّوصل إليه من نتائج استنادا إلى ما جاء في المقال هو:

- عرف بايلك الغرب عامّة وحاضرة معسكر خاصّة أواخر القرن الثّامن عشر الميلادي خلال حكم الباي محمّد بن عثمان بروز علماء أعلام وفضلاء كرام، تميّزوا بسعة الإطّلاع في شتّى أصناف المعرفة من فقه وعلوم القرآن والحديث والتّاريخ وعلم الأنساب والنّحو والأدب وغيرها، نظير ما وفّره هذا الباي من ظروف ملائمة لذلك.
- انتشرت خلال فترة حكم الباي محمّد بن عثمان الكبير العديد من المصنّفات، المسايرة لأحداث العصر .
- لم يكن الباي محمّد الكبير منعزلا عن قضايا عصره فقد ساهم في إثارة حماس عسكره وطلبة المساجد فكانوا في طليعة فاتحي وهران، والذّي تحقّق على يديه.

[٧٨] نفسه، ص١٠٩.

[٧٩] أحمد توفيق المدني، المرجع سابق، ص٥٢٦.

ISSN : 2735-3710 eISSN : 2735-3729

- إنّ سيرة هذا الباي المجاهد في سبيل وسعة إطّلاعه وكثرة دعمه للعلماء والفقهاء تجعلنا نفنّد الأطروحات التّي جاء بها دعاة المدرسة الفرنسية الذّين اعتبروا الفترة العثمانية فترة غامضة من تاريخ الجزائر تميّزت بالجمود والتّقليد أو كما سمّاها شارل فيرو "بربرية ثقافية"، عكس ما تميّز به بايلك الغرب خلال فترة حكم هذا الباي من تأليف وإنشاء للمؤسسات الدينية والتعليمية.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

البيبليوغرافيا:

١. ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: البوعبدلي المهدي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٣م.
٢. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.
٣. أحمد ابن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب إلى الجنوب الصحراوي ١٧٨٥، تق: محمد عبد الكريم ، المؤسسة العربية للدراسات النشر.
٤. أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، تر: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، ١٩٧٤م.
٥. أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (١٤٩٢م-١٧٩٢م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
٦. أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر ١٧٦٦/١٧٩١: سيرته وحروبه وأعماله ونظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦م.
٧. أحميدة عميراوي، الجزائر في الأدبيات الرحالة والأسر من خلال العهد العثماني: مذكرات الأسير تيدنا، دار الهدى، الجزائر، ٢٠٠٣م.
٨. أحميدة عميراوي، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، ٢٠٠٥م.
٩. الأغا ابن عودة المزاري، سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
١٠. بصحراوي محمد وبوسوار مليكة، الباي محمد الكبير ودوره في بايلك الغرب الجزائري ١٧٧٩/١٧٩٧، مذكرة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على شهادة الماستر في التاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة ابن خلدون، تيارت، ٢٠١٦م.
١١. بلبروات عتو، الباي محمد الكبير باي وهران ١٧٧٩/١٧٩٧: حياته وسيرته، مجلة عصور، مج٠٢، ع٠٣، جوان ٢٠٠٣م، ص-ص ١٥١-١٥٨.
١٢. بن عتو بلبروات، إستراتيجية الباي محمد الكبير فتح وهران والمرسى الكبير، مجلة الثقافة، ع٠٦، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ٢٠١٠م.
١٣. توامة نعناعة، عمارة المساجد العثمانية في بايلك الغرب بين استمرار الطرز المحلية ومظاهر الانفتاح على الطرز الوافدة، ٢٠١٩، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج٠٣، ع٠١، ٢٠١٩م، ص١١٥-١٣٦.

ISSN : 2735-3710 eISSN : 2735-3729

١٤. حبيبة بوشارب، محمد الكبير باي الغرب الجزائري(١١٩٣ه-١٢١١ه/١٧٧٩م-١٧٩٧م)، مذكرة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على شهادة الماستر في التاريخ الجزائر الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة المسيلة، ٢٠١٩م.
١٥. خيرة بن بلّة، المنشآت الدّينية بالجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على درجة الدكتوراه في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار، جامعة الجزائر، ٢٠٠٨م.
١٦. رشيد بورييبة، وهران فن وثقافة، منشورات وزارة الإعلام، الجزائر، ١٩٨٣م.
١٧. صبرينة أمير وحورية زاير، المشروع الجهادي للباي محمد الكبير في تحرير وهران ١٧٩٢م، مذكرة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على شهادة الماستر في التاريخ الجزائر الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية ، جامعة البويرة، ٢٠١٩م.
١٨. عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، ٢٠١١م.
١٩. عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث (الجزائر-المدية-مليانة)، ط١، شركة دار الأمة، الجزائر، ٢٠٠٧م.
٢٠. عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة إسلامية ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وهران، ٢٠١٤م.
٢١. قدور بوجلال، المنشآت التعليمية بمعسكر في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج١٧، ع٠٢، ٢٠١٧م، ص-ص٢٣٥-٢٦٧.
٢٢. كاميلية دغموش، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الأسباني والسلطة العثمانية (١٥٠٩م-١٧٩٢م)، رسالة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وهران، ٢٠١٤م.
٢٣. مبارك ابن محمد الميلي، تاريخ الجزائر الحديث والقديم، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، ١٩٦٤م.
٢٤. مبروك مهيريس، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٩م.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

٢٥. محمد الأمين شرويك، جهود محمد الكبير وصالح باي في تشجيع حركة الثقافة والتعليم في الجزائر العثمانية على ضوء المصادر المحلية والأجنبية، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، مج٠٣، ع٠٢، ٢٠١٨م،ص-ص٥٦٥-٥٨٤.
٢٦. محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح: البوعبدلي المهدي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م.
٢٧. محمد مقصودة، الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني١٥١٩م-١٨٣٠م، رسالة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وهران، ٢٠١٤م.

ISSN : 2735-3710 eISSN : 2735-3729